مقاصد
القرآن الكريم عند السعدي
في كتابه "القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن" جمعا ودراسة

هيفاء كرار

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

مقاصد القرآن الكريم عند السعدي في كتابه «القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن» جمعًا ودراسة

إعداد: هيفاء ركا كرار محمد

www.alukah.net

ملخص البحث

يتجه هذا البحث إلى استخراج المقاصد القرآنية التي أشار إليها العلّامة المفسّر عبد الرحمن السعدي في كتابه «القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن». حيث يمثّل بيانًا لجانبٍ من اعتناء علماء الأمة وجهودهم في بيان مقاصد القرآن الكريم. **ويهدف البحث إلى:**

١. جمع المواطن التي أشار فيها الشيخ السعدي إلى مقاصد القرآن الكريم في كتابه «القواعد الحسان».
٢. استنتاج مقاصد القرآن عند الشيخ السعدي من خلال كتابه «القواعد الحسان»، ودراستها.
٣. بيان الألفاظ التي أطلقها الشيخ السعدي على مقاصد القرآن.
٤. الموازنة بين ما ذكره السعدي من مقاصد القرآن في كتابه «القواعد الحسان» وأقوال غيره من العلماء.

هذا واقتضت طبيعة الموضوع التزام المنهج الاستقرائي والاستنتاجي والوصفي.

وقد خلص البحث إلى أن السعدي -رحمه الله-أشار في كتابه إلى مقاصد القرآن الكريم بمعنى الغايات والأهداف في عدّة مواطن، واستُنتِج منها ستة مقاصد، وهي: الهداية والإرشاد والتبيين، التذكر والتفكر، والاعتبار بالسنن الإلهية، والصلاح والإصلاح، وعموم الرسالة، وتصحيح التفكير والاستدلال. كما لاحظنا إشارة المؤلف إلى مقاصد القرآن الكريم باعتبار معنى الموضوعات والمحاور في عدّة مواطن، واستُنتِج منها ثمانية مقاصد، وهي: العقيدة، وتقرير النبوات، وتقرير المعاد، ومعرفة أهل السعادة وأهل الشقاوة، والأحكام الشرعية، وتهذيب الأخلاق، والدعوة، والتعليم. وتعددت طرق التعبير عن مقاصد القرآن الكريم عند السعدي في كتابه «القواعد الحسان»، ومن ذلك: -التصريح بعلة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إنزال القرآن الكريم، -تسميته أصلًا أو قاعدة، -بيان أن هذا المعنى ذُكِر في آياتٍ كثيرة ونحوها من العبارات -التصريح بأنه من علوم القرآن، -إرجاع جميع الشريعة إلى هذا المعنى. وكانت أكثر طريقة عبّر بها السعدي عن مقاصد القرآن الكريم جملة: «وهذا المعنى في القرآن كثير» ونحوها.

كما ظهر لدينا من نتائج البحث أن المتقدّمين من المفسّرين لم يصرّحوا بمصطلح المقاصد القرآنية، ولكن عنى بعض العلماء بذكر معاني القرآن الكريم على وجه الإجمال عند كلامهم عن سورة الفاتحة أو سورة الإخلاص. وكان من أوائل من صرّح بمصطلح (مقاصد القرآن) الرازي (ت٦٠٦هـ).

وأخيرًا وجدنا أن السعدي -رحمه الله- وافق كثيرًا ممن سبقه من المفسّرين في بعض المقاصد القرآنية، وهي: (العقيدة، والنبوة، والمعاد، والأحكام). والله تعالى أعلم.

www.alukah.net

المقدّمة

الحمد لله الذي جعل العلمَ بالقرآن على الخير أمارَة، وفتح لعباده من أصول فهمِ القرآن ما كان دليلًا لهم ومنارة، والصلاة والسلام على سيّد ولد آدم، الذي أحسن للنّاس تفسيرَ القرآن وبيانَه، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإنّ علوم القرآن الكريم معينٌ لا ينضب، ومواردٌ لا ينفد، وإن الاشتغال بعلوم القرآن العزيز؛ دراسةً وتدبرًا، وبحثًا وتأليفًا لمن خير الأعمال، وأعظم القُرُبات.

وقد اجتهد العلماء في بيانِ علوم القرآن، والسعيِ حثيثًا في الكشف عن مقاصده وأسراره، وتدبّرِ موضوعاته وسوره وآياته، ومن ذلك حرصُهم وتحرّيهم لمقاصد القرآن الكريم، بتجليتها وإبرازها، ما بين مصرِّحٍ بها، ومعدِّدٍ لها، ومشيرٍ إليها.

ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ العلامة المفسِّر عبد الرحمن بن ناصر السّعدي (ت١٣٧٦هـ)، الذي كانت له القدم الراسخة في علم التفسير وعلوم القرآن، وكفى بتفسيره «تيسير الكريم الرحمن» شاهدًا على سعة علمه، وعمق فهمه. ومن مؤلفاته «القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن» الذي يُعدّ من أفضل ما كتبه الشيخ رحمه الله؛ لتناوله جملة من قواعد التفسير والفوائد والإرشادات القرآنية العظيمة، ولذلك رغبت في بحث هذا الكتاب، لاستنتاج مقاصد القرآن الكريم من إشارات الشيخ رحمه الله؛ إذ يتضح من عمل المؤلف في كتابه تطرّقُه إلى مقاصد القرآن الكريم بعبارات متنوعة تدلّ على هذا المعنى، وإن لم يصرّح بتناوله لهذا المصطلح.

مشكلة البحث: يمكن تحديد مشكلة البحث من خلال السؤال الرئيس: ماهي المقاصد القرآنية التي أشار إليها السعدي في كتابه «القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن»؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتتجلى أهمية البحث من عدّة جوانب:

- تعلّقه بموضوع مقاصد القرآن الكريم الذي يعدّ مفتاحًا لعلم التفسير، ووقاية من الخوض في كتاب الله تعالى بغير علم أو بتكلفات بعيدة عن الغاية التي لأجلها أُنزِل القرآن الكريم.
- تطرّقه لعلم المقاصد على سَنَن إمام من أئمة التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، وهو العلامة المفسِّر عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، ومعلوم مكانة الشيخ في علم التفسير، وما لمؤلفاته من أثرٍ كبيرٍ على المكتبة التفسيرية.
- ارتباطه بكتاب «القواعد الحسان» الذي يُعدّ من أفضل مؤلّفات الشيخ السعدي؛ لتناوله جملة من قواعد التفسير والفوائد والإرشادات القرآنية العظيمة.
- بيانه لجانب من اعتناء علماء الأمة وجهودهم في بيان مقاصد القرآن الكريم.

أهداف البحث

٥. جمع المواطن التي أشار فيها الشيخ السعدي إلى مقاصد القرآن الكريم في كتابه «القواعد الحسان».
٦. استنتاج مقاصد القرآن عند الشيخ السعدي من خلال كتابه «القواعد الحسان»، ودراستها.
٧. بيان الألفاظ التي أطلقها الشيخ السعدي على مقاصد القرآن.
٨. الموازنة بين ما ذكره السعدي من مقاصد القرآن في كتابه «القواعد الحسان» وأقوال غيره من العلماء.

الدراسات السابقة

من خلال البحث في قواعد البيانات وجدتُ أبحاثًا عديدة في مقاصد القرآن الكريم، لكن لم أجد بحثًا تطرّق لهذا الموضوع بخصوصه وهو المقاصد القرآن عند السعدي من خلال كتاب «القواعد الحسان».

خِطة البحث: يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة:

المقدمة

التمهيد: تعريف موجز بكتاب «القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن» ومؤلفه

المبحث الأول: مدلول مقاصد القرآن الكريم وأنواعها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى مقاصد القرآن الكريم

المطلب الثاني: أنواع مقاصد القرآن الكريم

المبحث الثاني: مقاصد القرآن عند الشيخ السعدي من خلال كتابه «القواعد الحسان»، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المواطن التي أشار فيها الشيخ السعدي إلى مقاصد القرآن الكريم واستنتاجها.

المطلب الثاني: بيان الألفاظ التي أطلقها الشيخ السعدي على مقاصد القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الموازنة بين ما ذكره الشيخ السعدي من مقاصد القرآن الكريم وأقوال غيره من العلماء.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: مقاصد القرآن، السعدي، القواعد الحسان، الغايات، تفسير القرآن

وأسأل الله تعالى أن يجعله علمًا نافعًا وعملًا متقبلًا، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم.

التمهيد: تعريف موجز بكتاب «القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن» ومؤلفه

هو العلامة الورع الزاهد تذكرة السلف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي الناصري التميمي الحنبلي.

ولد في مدينة عنيزة بالقصيم سنة (١٣٠٧هـ)، ونشأ نشأة حسنة، وحفظ القرآن وهو في الحادية عشرة من عمره، وحفظه عن ظهر قلب وهو في الرابعة عشرة من عمره. ثم اشتغل بطلب العلم، فقرأ على عددٍ من المشايخ، وقرأ على الشيخ صالح بن عثمان قاضي عنيزة، في التوحيد والتفسير والفقه وأصوله والنحو، ولازمه ملازمة تامة حتى توفي. ولما بلغ من العمر ثلاثًا وعشرين سنة جلس للتدريس، فكان يتعلم ويعلّم ويقضي أوقاته في ذلك، وفي الإكباب على مطالعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بتمعن وتفهم، فانتفع بها غاية الانتفاع.

وفي عام (١٣٥٠هـ) انتهت إليه رئاسة العلم في القصيم، فاشتهر علمه وارتفع قدره، وأخذ عنه خلقٌ كثير، من أشهرهم: الشيخ سليمان بن إبراهيم البسام، والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسّام، والشيخ العلامة محمد بن صالح آل عثيمين وغيرهم كثير. ومن مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم المسمى «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان»، و«تيسير اللطيف المنّان في خلاصة تفسير القرآن»، و«فوائد مستنبطة من قصة يوسف»، و«القواعد الحسان لتفسير القرآن»[(١)]. «والمواهب الربّانية من الآيات القرآنية» وغيرها كثير.

(١) انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، الطبعة ٢ (١٣٩٤هـ). ص٣٩٢- ٣٩٥.

توفي سنة (١٣٧٦هـ)[١] رحمه الله، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وكتاب «القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن» من أفضل مؤلّفات الشيخ رحمه الله.

موضوعه: يتناول الكتاب أصولًا وقواعد متعلقة بتفسير القرآن الكريم، تتضمن بيان الطرق والمسالك التي ترجع إليها كثيرٌ من الآيات، مما يعين دارسها على فهم كلام الله تعالى، وسلوك طرق التفسير ومنهاج الفهم عن الله تعالى[٢].

طريقة المؤلف في كتابه: سلك المؤلف فيه مسلك الإيجاز الذي يحصل به المقصود[٣].

وقد اشتمل الكتاب على إحدى وسبعين قاعدة، جاءت سبعون قاعدة في بيان القواعد التي ترجع إليها كثيرٌ من الآيات، وهي المقصودة بوضع هذا الكتاب، وأما القاعدة الحادية والسبعون فهي في نفس ألفاظ القرآن الكريم، وختم المؤلف بها لبيان اشتمال كثير من ألفاظ القرآن الكريم على جوامع المعاني[٤].

وقد كتبه مؤلفه في شهر رمضان، حيث شرع فيه يوم الإثنين غرة رمضان[٥]، وانتهى منه في اليوم السادس من شوال من عام ١٣٦٥هـ[٦].

(١) المصدر نفسه، عبد الرحمن آل الشيخ، ص ٣٩٧.
(٢) انظر: القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق خالد السبت، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثالثة (١٤٣٦هـ). ص١٣، ١٣٨.
(٣) انظر: القواعد الحسان، ص١٤.
(٤) انظر: المصدر نفسه، ص١٣٨.
(٥) شرح القواعد الحسان، لـ أ.د. عبد الرزاق البدر، ذكر ذلك عن النسخة الخطية. راجع الرابط ٠١/ ٣١ مقدمة الكتاب (al-badr.net) من الدقيقة (٣:٢٠).
(٦) القواعد الحسان، ص١٤٠.

المبحث الأول: مدلول مقاصد القرآن الكريم وأنواعها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى مقاصد القرآن الكريم

المقاصد: جمع مقصَد، «والقاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدلُ أحدُها على إتيانٍ شيءٍ وأمِّه»[(١)]، يُقال: «قصَد الرجلُ الأمرَ يقصِده قَصْدًا: إذا أمَّه»[(٢)]. والمقصَد: الوِجْهة[(٣)]. و«المقصِد: موضع القصد»[(٤)]، ويطلق على: الغاية والفحوى. و«مقاصد الشريعة: الأهداف التي وُضِعت لها، ومقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها»[(٥)].

ومصطلح (مقاصد القرآن) لم يوجد في كلام المتقدمين، ولكنهم استعملوا بعض الإطلاقات التي تدلّ عليه، وهي: علوم القرآن، ومطالب القرآن، وأقسام القرآن[(٦)].

تعريف «مقاصد القرآن» اصطلاحًا: «الأهداف والغايات الكبرى التي نزل القرآن الكريم لبيانها وتحصيلها، كبيان الحق، وهداية الخلق، وإقامة العدل، وتحقيق العبودية لله جلّ وعلا»[(٧)].

---

(١) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م). (٥/ ٩٥).

(٢) جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١ دار العلم للملايين، بيروت (١٩٨٧م). (٢/ ٦٥٦).

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، ط١ دار عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، (٣/ ١٨٢٠).

(٤) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزّيات، حامد عبد القادر، محمد النجّار، مجمع اللغة العربية، ط المكتبة الإسلامية، استانبول. (٢/ ٧٣٨).

(٥) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٨٢٠).

(٦) انظر: المقاصد القرآنية في كتب التفسير، منذر المسيعدين، مجلة كلية أصول الدين والدعوة، ع٣٦ (٢٠١٨م). (١/ ٧٠٢).

(٧) معجم مصطلحات علوم القرآن، محمد بن عبد الرحمن الشايع، ط١ دار التدمرية، الرياض (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م). ص١٤٠.

www.alukah.net

المطلب الثاني: أنواع مقاصد القرآن الكريم

تتنوع مقاصد القرآن الكريم إلى أنواع عديدة، باعتبارات مختلفة، فإذا نظرنا إلى الحدّ والتعريف فيمكن أن نقول: إنها على نوعين:

الأول: المقاصد بمعنى الغايات والأهداف

الثاني: المقاصد بمعنى الموضوعات والمحاور الرئيسة والمعاني الكلية[1].

فأما ما كان بمعنى الغايات والأهداف، فمثل مقصد الهداية؛ الذي هو الغاية الكبرى من إنزال القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة:١-٢]، وقال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [سورة البقرة:١٨٥].

وأما ما كان بمعنى الموضوعات الكبرى التي تكرّر ذكرها في القرآن الكريم، فمثل تقرير التوحيد بأنواعه، وأنّ القرآن الكريم جاء ببيان أهمية التوحيد وفضله وأنه أساس دعوة الرسل، ولأجله أنزلت الكتب، ولأجله قام سوق الجنة والنار، إلى غير ذلك.

ويمكن تقسيم مقاصد القرآن باعتبار العموم والخصوص، فتكون على قسمين:

١) مقاصد عامة، وهي الغايات الكبرى والموضوعات الكلية العامة، كالهداية، وتقرير العقيدة الصحيحة، والتشريع، وتزكية النفوس بالأخلاق الرفيعة.
٢) ومقاصد خاصة، مثل المتعلقة بسورة معينة، أو المختصة بتشريع معين، أو بقصة من القصص[2].

(١) انظر: علم مقاصد القرآن الكريم. دراسة تأصيلية، أ.م.د. محمد حامد حسن عطية، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، ع٣٥ ج١ (٢٠٢٣م). ص١٠١
(٢) انظر: المصدر نفسه ، محمد حامد، ص١٠٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتنقسم المقاصد كذلك باعتبار طريق إثباتها إلى:

١) ما أثبته النصّ، كوصف القرآن بأنه هدى ورحمة، وغير ذلك من أوصافه الصريحة، وتعليلات نزوله.
٢) ما عُلِم بالاجتهاد المبني على الاستقراء والاستنباط، مثل: مقاصد السور، وهذا النوع منه ما هو ظاهر قريب من النصّ، ومنه خفي تكثر فيه الاحتمالات[(١)].

المبحث الثاني: مقاصد القرآن عند الشيخ السعدي من خلال كتابه «القواعد الحسان»، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المواطن التي أشار فيها الشيخ السعدي إلى مقاصد القرآن الكريم

أشار الشيخ السعدي لمقاصد القرآن في مواطن عديدة، وقسّمتها بحسب تعريف مقاصد القرآن على قسمين:

القسم الأول: تعريف مقاصد القرآن باعتبار معنى «الغايات والأهداف»

نجد المؤلف قد أشار إلى مقاصد القرآن بمعنى الغايات في عدةّ مواطن، نقسمها على الوجه الآتي:

الأول- مقصد الهداية والإرشاد والتبيين

وهذا أجلّ مقاصد القرآن الكبرى، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [سورة البقرة:١-٢]، وقال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [سورة البقرة:١٨٥].

(١) انظر: علم مقاصد القرآن الكريم، محمد حامد، ص١٠٣-١٠٤.

www.alukah.net

قال السعدي: «فاعلم أن هذا القرآن العظيم أنزله الله **لهداية الخلق وإرشادهم**، وأنه في كل وقت وزمان ومكان يرشد إلى أهدى الأمور وأقومها ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [سورة الإسراء:٩]»[(١)]، فهذه إشارة إلى أن من غايات القرآن هداية العباد وإرشادهم لأقوم الأمور في كل وقت وزمان.

ويؤيد هذا قوله: «فإن القرآن -كما تقدم- **إنما نزل لهداية أول الأمة وآخرها**. والله تعالى قد أمرنا بالتفكّر والتدبّر لكتابه، فإذا تدبرنا الألفاظ العامة، وفهمنا أن معناها يتناول أشياء كثيرة، فلأي شيء نخرج بعض هذه المعاني، مع إدخالنا ما هو مثلها ونظيرها»[(٢)].

وقال أيضًا: «ومتى علم العبد أن القرآن فيه **تبيان كلّ شيء**، وأنه كفيل بجميع المصالح مبين لها، حاث عليها، زاجر عن المضار كلها، وجعل هذه القاعدة نصب عينيه، ونزلها على كل واقع وحادث سابق أو لاحق، ظهر له عظم موقعها وكثرة فوائدها وثمراتها»[(٣)]، فإذن من الغايات الكبرى التي نزل القرآن لأجلها تبيين كل شيء من المصالح والمضارّ.

وصرّح السعدي بهذا الأصل في القاعدة التاسعة والخمسين ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [سورة الإسراء:٩]، حيث يقول: «**ما أعظمَ هذه القاعدةَ والأصلَ العظيمَ الذي نصّ الله عليه نصًّا صريحًا**، وعمّ ذلك ولم يقيده بحالة من الأحوال فكل حال هي أقوم، في العقائد والأخلاق والأعمال والسياسات الكبار والصغار والصناعات والأعمال الدينية والدنيوية فإن القرآن يهدي إليها ويرشد إليها، ويأمر بها ويحث عليها.

(١) القواعد الحسان، ص١٥.
(٢) المصدر نفسه، ص١٥.
(٣) القواعد الحسان، ص١٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

معنى ﴿أَقَوَمُ﴾ أيْ أكمل وأصلح وأعظم قيامًا وصلاحًا... **وتفصيل هذه القاعدة لا يمكن استيفاؤه وبالجملة فالتفاصيل الواردة في القرآن وفي السنة من الأوامر والنواهي والإخبارات كلها تفصيل لهذا الأصل المحيط.** وبهذا وغيره يتبين لك أنه لا يمكن أن يرد علم صحيح أو معنى نافع أو طريق صلاح ينافي القرآن. والله تعالى ولي الإحسان»[(١)].

ويمكن أن نأتي إلى بعض القواعد والأصول التي ذكرها السعدي لندرجها ضمن مقصد الهداية والإرشاد والتبيين، فمن ذلك:

هداية القرآن للناس في إنجاز أعمالهم، يوضح ذلك ما ذكره السعدي في القاعدة الحادية والأربعون، قال: «يرشد الله عباده في كتابه من جهة العمل إلى قصر نظرهم إلى الحالة الحاضرة التي هم فيها، ومن جهة الترغيب فيه والترهيب من ضده إلى ما يترتب عليها من المصالح، ومن جهة النعم إلى النظر إلى ضدها.

وهذه القاعدة الجليلة دعا عليها القرآن في آيات عديدة، وهي من أعظم ما يدل على حكمة الله، ومن أعظم ما يُرقّي العاملين إلى خير ديني ودنيوي، فإن العامل إذا كان مشتغلًا بعمله الذي هو وظيفة وقته، فإن قصر فِكره وظاهره وباطنه عليه نجح، وتم بحسب حاله.

وإن نظر وتشوقت نفسه إلى أعمال أخرى لم يحن وقتها بعدُ فترت عزيمته، وانحلت همته وصار نظره إلى الأعمال الأخرى ينقص من إتقان عمله الحاضر وجمع الهمة عليه.

ثم إذا جاءت وظيفة العمل الآخر جاءه وقد ضعفت همته وقل نشاطه، وربما كان الثاني متوقفًا على الأول في حصوله أو تكميله، فيفوت الأول والثاني، بخلاف من جمع قلبه وقالبه، وصار أكبر همه هو القيام بعمله الذي هو وظيفة وقته؛ فإنه إذا جاء العمل الثاني فإذا هو قد استعد له بقوة ونشاط، وتلقاه بشوق، وصار قيامه بالأول معونة على قيامه بالثاني...

(١) المصدر نفسه، ص١٢٠-١٢١.

www.alukah.net

فالله أرشد العباد أن يكونوا أبناء وقتهم، وأن يقوموا بالعمل الحاضر ووظيفته، ثم إذا جاء العمل الآخر صار وظيفة ذلك الوقت، واجتمعت تلك الهمة والعزيمة عليه، وصار القيام بالعمل الأول معيناً على الثاني، **وهذا المعنى في القرآن كثير**»[1].

ومنها: هداية القرآن للناس كذلك إرشادهم إلى التثبت في الأمور التي يُخشى منها، والمبادرة في الأعمال التي يخشى فواتها، قال السعدي: «القاعدة الثالثة والأربعون:

يأمر الله بالتثبت وعدم العجلة في الأمور التي يخشى من عواقبها، ويأمر ويحث على المبادرة على أمور الخير التي يخشى فواتها. **وهذه القاعدة في القرآن كثير**. قال تعالى في القسم الأول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [سورة النساء:٩٤]، وفي قراءة: (فتثبتوا)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [سورة الحجرات:٦]. وقد عاب الله المتسرعين إلى إذاعة الأخبار التي يخشى من إذاعتها، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٞ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ ﴾ [سورة النساء:٨٣]، وقال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [سورة يونس:٣٩]. ومن هذا الباب: الأمر بالمشاورة في الأمور، وأخذ الحذر، وألا يقول الإنسان ما لا يعلم، **وفي هذا آيات كثيرة**.

وأما القسم الثاني: فقوله: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [سورة آل عمران:١٣٣] الآيات، ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ ﴾ [سورة البقرة:١٤٨]، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١ ﴾ [سورة المؤمنون:٦١]، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ ﴾ [سورة الواقعة:١٠]، أيْ: السابقون في الدنيا إلى الخيرات: هم السابقون في الآخرة إلى الجنات

(١) القواعد الحسان، ص٩٥-٩٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والكرامات. **والآيات كثيرة في هذا المعنى**. وهذا الذي أرشد الله عباده إليه هو الكمال، أن يكونوا حازمين لا يفوتون فرص الخيرات، وأن يكونوا متثبتين خشية وقوع المكروهات والمضرّات، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة المائدة: ٥٠]»[(١)].

الثاني: التذكّر والتفكّر

أنزل الله تعالى كتابه العظيم تذكرةً للعباد، يتفكرون في آياته، ويستدلون بها على المطالب العالية، والمقاصد الجليلة، ومنافع الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الحاقة: ٤٨].

قال السعدي: «القاعدة الثالثة والعشرون: إرشادات القرآن على نوعين: أحدهما أن يرشد أمرًا ونهيًا وخبرًا إلى أمر معروف شرعًا أو معروف عُرفًا كما تقدم. والنوع الثاني: أن يرشد إلى استخراج الأشياء النافعة من أصول معروفة، ويُعمل الفكر في استفادة المنافع منها. وهذه القاعدة شريفة جليلة القدر، أما النوع الأول فأكثر إرشادات القرآن في الأمور الخبرية والأمور الحكمية داخلة فيها.

وأما النوع الثاني -وهو المقصود هنا- فإنه دعا عباده في آيات كثيرة إلى التفكر في خلق السماوات والأرض، وما خلق فيها من العوالم... وذلك أننا إذا فكرنا فيها ... أفادنا هذا الفكر فيها علمين جليلين:

أحدهما أننا نستدل بها على ما لله من صفات الكمال والعظيم، وما له من النعم الواسعة، والأيادي المتكاثرة، وعلى صدق ما أخبر به من المعاد والجنّة والنار، وعلى صدق رسله... والعلم الثاني: أننا نتفكر فيها ونستخرج منها المنافع المتنوعة... وهذا من آيات القرآن. وهو أكبر دليل على سعة علم الله وحكمته ورحمته بعباده بأن أباح لهم جميع النعم، ويسر لهم الوصول إليها بطرق لا تزال تحدث وقتًا بعد وقت. وقد أخبر في عدة آيات أنه تذكرة يتذكر بها العباد كل ما

(١) القواعد الحسان، ص٩٨-٩٩.

www.alukah.net

ينفعهم فيسلكونه وما يضرهم فيتركونه، وأنه هداية لجميع المصالح»[1].

وقال في موضع آخر: «القاعدة السابعة والخمسون: في كيفية الاستدلال بخلق السماوات والأرض وما فيها على التوحيد والمطالب العالية

قد دعا الله عباده إلى التفكر في هذه المخلوقات **في آيات كثيرة** وأثنى على المتفكرين فيها، وأخبر أن فيها آياتٍ وعِبَرًا، فينبغي لنا أن نسلك الطريق المنتج للمطلوب بأيسر ما يكون، وأوضح ما يكون»[2].

ومما يدخل في مقصد التذكير أن في القرآن آياتٍ كثيرة تذكّر العباد «عند ميلان النفس أو خوف ميلانها إلى ما لا ينبغي، يذكّرها الله ما يفوتها من الخير، وما يحصل لها من الضرر **وهذا في القرآن كثير**، وهو من أنفع الأشياء في حصول الاستقامة، لأن الأمر والنهي المجرد لا يكفي أكثر الخلق في كفهم عما لا ينبغي، حتى يقرن بذلك ما يفوت من المحبوبات التي تزيد أضعافًا مضاعفة على المحبوب الذي يكرهه الله، وتميل إليه النفس، وما يحصل من المكروه المرتب عليه كذلك، قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [سورة الأنفال:٢٨]، فهنا لما ذكر فتنة الأموال والأولاد التي مالت بأكثر الخلق عن الاستقامة، قال مذكرًا لهم ما يفوتهم إن افتتنوا بها، وما يحصل لهم إن سلموا من الفتنة ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾، [الأنفال: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة النساء:١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الشورى: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥- ٢٠٧].

(١) القواعد الحسان، ص٦٤- ٦٦.
(٢) المصدر نفسه، ص١١٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والآيات في هذا المعنى الجليل كثيرة جدًا. فإذا بان للناظر أصلها وقاعدتها سهل عليه تنزيل كل ما يرد منها على الأصل المتقرر، والله أعلم»[(١)].

الثالث: الاعتبار بسنن الله الكونية

قال السعدي: «القاعدة الرابعة والثلاثون: دلّ القرآن في عدّة آيات أن من ترك ما ينفعه مع الإمكان ابتُلي بالاشتغال بما يضرّه وحُرِم الأمر الأول... **والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا...**»[(٢)].

وقال في موضع آخر: « القاعدة التاسعة والأربعون: إذا منع الله عباده المؤمنين شيئًا تتعلق به إرادتهم، فتح لهم بابًا أنفع لهم منه وأسهل وأولى، وهذا من لطفه... **وفي هذا المعنى آيات كثيرة**»[(٣)].

وقال في موضع آخر: «القاعدة التاسعة والستون: من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه. **وهذه القاعدة وردت في القرآن في مواضع كثيرة**»[(٤)].

الرابع: الحث على السعي في الصلاح والإصلاح بحسب الإمكان

قال السعدي: «القاعدة الخامسة والأربعون: حثّ الباري في كتابه على الصلاح والإصلاح

وهذه القاعدة من أعم القواعد، فإن القرآن يكاد أن يكون كله داخلاً تحتها؛ فإن الله أمر بالصلاح في آيات متعددة والإصلاح، وأثنى على الصالحين والمصلحين في آيات أخر...

وأمثلة هذه القاعدة لا تنحصر. وحقيقتها: السعي في الكمال الممكن حسب القدرة بتحصيل المصالح أو تكميلها أو إزالة المفاسد والمضارّ أو تقليلها: الكلية منها والجزئية، المتعدية والقاصرة، والله أعلم»[(٥)].

---

(١) القواعد الحسان، ص٩٩-١٠٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٨٥.
(٣) المصدر نفسه، ص١٠٤.
(٤) المصدر نفسه، ص١٣٤.
(٥) المصدر نفسه، ص١٠٠-١٠١.

وفي موضع آخر ذكر ما يؤكد ذلك، فقال: «القاعدة الخامسة والثلاثون: في القرآن عدة آيات فيها الحث على أعلى المصلحتين، وتقديم أهون المفسدتين، ومنع ما كانت مفسدته أرجح من مصلحته»[(١)].

وقال مبينًا أنّ الصلاح هو الغاية من جميع الشرائع: «**وبالجملة فإن جميع الشرائع ترجع إلى صلاح القلوب والأرواح والأخلاق والأبدان والأموال والدنيا والآخرة**، والله أعلم»[(٢)].

وقال في موطن آخر: «القاعدة السبعون: القرآن كفيل بمقاومة جميع المفسدين ولا يعصم من جميع الشرور إلا التمسكُ بأصوله وفروعه. **قد تقدم من الأدلة على هذا الأصل الكبير في دعوة القرآن إلى الإصلاح والصلاح**، وفي طريقته في محاجّة أهل الباطل، وفي سياسته الداخلية والخارجية ما يدل على هذا الأصل. ويعرِّف الخلق أن العصمة من الشرور كلها التمسك بهذا القرآن وأصوله وعقائده وأخلاقه وآدابه وأعماله»[(٣)].

الخامس: بيان أن القرآن الكريم هو رسالة الله العامّة الباقية لجميع الناس ولا تختص بزمن دون آخر

ويؤخذ ذلك من عدّة مواضع:

من قول المؤلف: العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب. وهذه قاعدة نافعة جدًا، بمراعاتها يحصل للعبد خير كثير، وعلم غزير، وبإهمالها وعدم ملاحظتها يفوته علم كثير، ويقع الغلط والارتباك. **وهذا الأصل اتفق عليه المحققون** من أهل الأصول وغيرهم»[(٤)].

(١) القواعد الحسان، ص٨٦
(٢) المصدر نفسه، ص٩٤.
(٣) المصدر نفسه، ص١٣٥.
(٤) المصدر نفسه، ص١٦.

وقوله في موضع آخر: «القاعدة السابعة والأربعون: إذا كان سياق الآيات في أمور خاصة وأراد الله أن يحكم عليها وذلك الحكم لا يختص بها، بل يشملها ويشمل غيرها، جاء الله بالحكم العام. وهذه القاعدة من أسرار القرآن وبدائعه، وأكبر دليل على إحكامه وانتظامه العجيب. **وأمثلة هذه القاعدة كثيرة...**»[1].

السادس: تصحيح التفكير والاستدلال الصحيح على الأمور

ويدخل فيه كثيرٌ من قواعد القرآن الكريم، ومن ذلك:

«القاعدة الثالثة والخمسون: من قواعد القرآن: أنه يبين أن الأجر والثواب على قدر المشقة في طريق العبادة، ويبين مع ذلك أن تسهيله لطريق العبادة من منته وإحسانه، وأنها لا تنقص الأجر شيئًا.

وهذه القاعدة تبين من لطف الله وإحسانه بالعباد، وحكمته الواسعة ما هو أثر عظيم من آثار تعريفاته ونفحة عظيمة من نفحاته، وأنه أرحم الراحمين... فهذه الأحوال كلها خير للمؤمن، إن سهل الله له طريق العبادة وهونها حَمِدَ اللهَ وشكره، وإن شقت على النفوس صبر واحتسب الخير في عنائه ومشقته ورجا عظيم الثواب، **وهذا المعنى في القرآن في آيات متعددة**، والله أعلم»[2].

ومن ذلك أيضًا قوله: «القاعدة الرابعة والخمسون: كثيرًا ما ينفي الله الشيء لانتفاء فائدته وثمرته المقصودة منه، وإن كانت صورته موجودة...**والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا**»[3].

قال السعدي: «القاعدة الثالثة والستون: يرشد القرآن إلى أن العبرة بحسن حال الإنسان إيمانه وعمله الصالح، وأن الاستدلال على ذلك بالدعاوى المجردة، أو بإعطاء الله للعبد من الدنيا، أو بالرياسات كلّ ذلك من طرق المنحرفين، **والقرآن يكاد أن يكون أكثره تفصيلًا لهذه القاعدة**»[4].

(١) المصدر نفسه، ص١٠٢.
(٢) القواعد الحسان، ص١١٠- ١١١
(٣) المصدر نفسه، ص١١١-١١٢.
(٤) المصدر نفسه، ص١٢٦.

ومن ذلك أيضًا: «القاعدة الثامنة والخمسون: الكمال إنما يظهر إذا قُرن بضده

إذا أراد الله إظهار شرف أنبيائه وأصفيائه بالصفات الكاملة أراهم نقصها في غيرهم من المستعدين للكمال. **وذلك في أمور كثيرة وردت في القرآن...**»[(١)].

ويدخل في ذلك أيضًا قوله: «القاعدة الثامنة والستون: ذكر الأوصاف المتقابلات يغني عن التصريح بالمفاضلة إذا كان الفرق معلومًا. **وهذه القاعدة في القرآن كثير**، يذكرها في المقامات المهمة كالمقابلة بين الإيمان والكفر والتوحيد والشرك، وبين إلهيته الحق وإلهية ما سواه، فيذكر تباين الأوصاف التي يعرف العقلاء بالبداهة التفاوت بينها ويدع التصريح بالمفاضلة إلى العقلاء»[(٢)].

القسم الثاني: تعريف مقاصد القرآن باعتبار معنى الموضوعات والمحاور

نجد المؤلف قد أشار إلى مقاصد القرآن بمعنى الموضوعات في عدّة مواطن، نقسمها على الوجه الآتي:

الأول: معرفة أسماء الله الحسنى (توحيد الأسماء والصفات)

وهو من أعظم مقاصد القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الطلاق:١٢].

قال السعدي عند كلامه على قاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب): «وأعظم ما تعتبر به هذه القاعدة: **في الأسماء الحسنى، فإن في القرآن منها شيء كثير، وهي أجل علوم القرآن**»[(٣)].

ويؤيد ذلك قوله في موضع آخر: «القاعدة التاسعة عشرة: ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدلّ على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم. وهذه

(١) المصدر نفسه، ص١١٧.
(٢) المصدر نفسه، ص١٣٣.
(٣) المصدر نفسه، ص١٨.

قاعدة لطيفة نافعة، عليك بتتبعها في جميع الآيات المختومة بها تجدها في غاية المناسبة، وتدلك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته، ومرتبط بها. وهذا باب عظيم من معرفة الله ومعرفة أحكامه، من أجل المعارف وأشرف العلوم»[(١)].

وأشار كذلك في موضع آخر إلى أنه أجلّ علوم القرآن، بقوله: « فأجلُّ علوم القرآن على الإطلاق: علم التوحيد، وما لله من صفات الكمال...»[(٢)].

ويدخل في ذلك ذكر ربوبية الله تعالى لعباده؛ إذ هي من صفاته وأفعاله الدالّ عليها اسمه «الربّ»، قال السعدي: «**كثر في القرآن ذكر ربوبية الربّ لعباده، ومتعلقاتها ولوازمها...**»[(٣)].

الثاني: توحيد الألوهية

من مقاصد القرآن الكبرى تقرير توحيد الألوهية، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، وهو الذي خُلِق الخلق لأجله، وأرسلت الرسل للدعوة إليه، قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة النحل:٢].

قال السعدي: «القاعدة السادسة: في طريقة القرآن في تقرير التوحيد ونفي ضده. **يكاد القرآن أن يكون كله لتقرير التوحيد ونفي ضده، وأكثر الآيات يقرر الله فيها توحيد الإلهية**، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ويخبر أن جميع الرسل تدعوا قومها إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأن الله تعالى إنما خلق الجن والإنس ليعبدوه، وأن الكتب والرسل اتفقت على هذا الأصل، الذي هو أصل الأصول كلها»[(٤)].

(١) القواعد الحسان، ص٤٩- ٥٠.
(٢) المصدر نفسه: ص٧٨.
(٣) المصدر نفسه، ص٨١.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٣.

وذكره كذلك على أنه أجلّ علوم القرآن كما في الموضع الآنف ذكره، حيث قال: « فأجلُّ علوم القرآن على الإطلاق: علم التوحيد، وما لله من صفات الكمال...»[(١)].

الثالث: تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

قال السعدي: «القاعدة السابعة: **في طريقة القرآن في تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. هذا الأصل الكبير قرّره الله في كتابه بالطرق المتنوعة** التي يعرف بها كمال صدقه صلى الله عليه وسلم»[(٢)].

الرابع: تقرير المعاد

قال السعدي: «القاعدة الثامنة: طريقة القرآن في تقرير المعاد. وهذا الأصل الثالث من الأصول التي اتفقت عليها الرسل والشرائع كلها: التوحيد، والرسالة، وأمر المعاد وحشر العباد. **وهذا قد أكثر الله من ذكره في كتابه الكريم، وقرره بطرق متنوعة**»[(٣)].

وقال في موضع آخر: «**ومن علوم القرآن**: علم الجزاء في الدنيا والبرزخ والآخرة على أعمال الخير وأعمال الشر. وفي ذلك مقاصد جليلة: الإيمان بكمال عدل الله وسعة فضله والإيمان باليوم الآخر، فإن تمامَ الإيمان بذلك يتوقف على معرفة ما يكون فيه، والترغيب والترهيب، والرغبة في الأعمال التي رتب الله عليها الجزاء الجزيل، والرهبةُ من ضدها»[(٤)].

(١) المصدر نفسه: ص٧٨.
(٢) المصدر نفسه ، ص٢٧.
(٣) القواعد الحسان ، ص٢٤.
(٤) المصدر نفسه ، ص٧٩.

الخامس: الدعوة إلى الحق وردّ بالباطل بالمجادلة بالتي هي أحسن

إنّ من مقاصد القرآن الكريم الدفاع عن الحق والدعوة إليه ومجادلة المبطلين بالطرق الصحيحة، وبالتي هي أحسن، وهذا هو الجهاد باللسان والبيان، المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الفرقان:٥٢].

قال السعدي: «القاعدة الثالثة عشرة: طريقة القرآن في الحجاج والمجادلة مع أهل الأديان الباطلة. قد أمر الله بالمجادلة بالتي هي أحسن، ومن تأمل الطرق التي نصب الله المحاجّة بها مع المبطلين على أيدي رسله رآها من أوضح الحجج وأقواها وأقومها وأدلّها على إحقاق الحق وإزهاق الباطل على وجه لا تشويش فيه ولا إزعاج ... **وهذا الأصل في القرآن كثير، فإنه يفيد الدعوة للحق، وردّ كلِّ باطل ينافيه**»[(١)].

وقال في موضع آخر مبينًا طرفًا من طريقة القرآن في المجادلة: «القاعدة الثانية والخمسون: إذا وضح الحق وبان، لم يبقَ للمعارضة العلمية، والعملية محل. **وهذه قاعدة شرعية عقلية فطرية، قد وردت في القرآن وأرشد إليها في مواضع كثيرة**... وكذلك في آيات كثيرة يأمر بمجادلة المكذبين ويجادلهم بالتي هي أحسن، حتى إذا وصل معهم إلى حالة وضوح الحق التام وإزالة الشبه كلها انتقل من مجادلتهم إلى الوعيد لهم بعقوبات الدنيا والآخرة، **والآيات في هذا المعنى الجليل كثيرة جدًا**»[(٢)].

السادس: بيان أحسن طرق التعليم

بيّن المؤلف السعدي أن في القرآن الكريم بيان أحسن طرق التعليم، فهو منبع غني لمعلِّم الناسِ الخيرَ، يصدر عن مورده العذب أفضل طرق التعليم وأنفعها، ليسلكها مع تلاميذه؛ لتؤتي ثمرتها في كل حين.

(١) المصدر نفسه، ص٣٩- ٤٠.
(٢) المصدر نفسه، ص١٠٨-١٠٩.

ويمكن الاستدلال لهذا المقصد من موضعين:

الأول: مقاصد الأمثال القرآنية

التعليم هو أحد مقاصد الأمثال القرآنية، فإنّ للأمثال القرآنية لها ثلاث وظائف: تعليمية، وتبيينية، وتربوية، أمّا التعليمية فمثل إقامة الحجّة بالتعليم المبني على القياس، كضرب المثل في سورة العنكبوت على وهن الاعتماد على غير الله. وأما التربوية، مثل ضرب المثل في مضاعفة الحسنات كمثل سنبة أنبتت سبع سنابل، ترغيبًا في الإنفاق، وتربية النفوس على السخاء والبذل ومجانبة الطمع والشحّ، وأما التبيينية، فمثل حقيقة المنافقين في مثل سورة البقرة، وتمثيل حقيقة الحياة الدنيا[1].

قال السعدي: «القاعدة الثانية والعشرون: **في مقاصد أمثلة القرآن**. اعلم أن القرآن الكريم احتوى على أعلى وأكمل وأنفع المواضيع التي يحتاج الخلق إليها في جميع الأنواع، **فقد احتوى على أحسن طرق التعليم، وإيصال المعاني إلى القلوب بأيسر شيء وأوضحه. فمن أنواع تعاليمه العالية: ضرب الأمثال،** وهذا النوع يذكره الباري في الأمور المهمة، كالتوحيد وحال الموحد والشرك وحالة أهله، والأعمال العامة الجليلة. ويقصد بذلك كله توضيح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسة، ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي العين. وهذا من عناية الباري بعباده ولطفه»[2].

الثاني: المحترزات في القرآن

«القاعدة السابعة والعشرون: المحترزات في القرآن تقع في كل المواضع في أشدّ الحاجة إليها. وهذه القاعدة جليلة النفع، عظيمة الوقع، وذلك أنّ كل موضع يسوق الله فيه حكمًا من الأحكام أو خبرًا من الأخبار فيتشوف الذهن فيه إلى شيء آخر، إلا وجدت الله قد قرَن به ذلك الأمر الذي يعلق في الأذهان،

(١) نظر: الصور البيانية في الأمثال القرآنية، محمد حسن العثمان، رسالة ماجستير (٢٠١٥). ص٦٩- ١٣٦.
(٢) القواعد الحسان، ص٥٩- ٦٠.

فيبينه أحسن بيان. **وهذا أعلى أنواع التعليم**، الذي لا يبقي إشكالاً إلا أزاله، ولا احتمالاً إلا أوضحه. وهذا يدل على سعة علم الله وحكمته. **وذلك في القرآن كثير جدًا**»[(١)].

السابع: إقامة العدل والوسطية

قال السعدي: «القاعدة الرابعة والعشرون: القرآن يرشد إلى التوسط والاعتدال في الأمور، ويذم التقصير والغلو ومجاوزة الحدّ. قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [سورة النحل:٩٠]، ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ [سورة الأعراف:٢٩]. **والآيات الآمرة بالعدل والناهية عن ضده كثيرة**... وبالجملة فما أمر الله بشيء إلا كان وسطًا بين **خُلقين ذميمين: تفريط أو إفراط**»[(٢)].

وقال في موضع آخر: «طريقة القرآن: إباحة الاقتصاص من المعتدي ومقابلته بمثل عدوانه، والنهي عن ظلمه، والندب إلى العفو والإحسان. **وهذا في آيات كثيرة**»[(٣)].

الثامن: الإيمان

قال السّعدي: «لما كان الإيمان أصل الخير كله والفلاح، وبفقده يفقد كل خير ديني ودنيوي وأخروي، **أكثر الله من ذكره في القرآن جدًا**: أمرًا به، ونهيًا عن ضده، وترغيبًا فيه، وبيانَ أوصافِ أهله، وما لهم من الجزاء الدنيوي والأخروي»[(٤)].

التاسع: معرفة الرسل

قال السعدي: «**ومن علوم القرآن**: صفات الرسل وأحوالهم، وما جرى لهم وعليهم، مع من وافقهم وخالفهم. وما هم عليه من الأوصاف الراقية ...»[(٥)].

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٤.
(٢) القواعد الحسان، ص٦٦- ٦٨..
(٣) المصدر نفسه، ص٨٧.
(٤) المصدر نفسه، ص٧٥-٧٦.
(٥) المصدر نفسه، ص٧٩.

العاشر: معرفة أهل السعادة وأهل الشقاوة

قال السعدي: «**ومن علوم القرآن**: علم أهل السعادة والخير وأهل الشقاوة والشر. وفي معرفته لهم ولأوصافهم ونعوتهم فوائد...».

الحادي عشر: معرفة حدود ما أنزل الله

قال السعدي: «ومن علوم القرآن: الأمر والنهي. **وفي ذلك مقاصد جليلة**: معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله؛ فإن المكلّفين مكلّفون بمعرفة ما أمروا به وما نهوا عنه، وبالعمل بذلك والعلم سابق للعمل...»[(١)].

الثاني عشر: اعتبار القصد والإرادة في جميع الأعمال

«**اعتبر اللهُ القصدَ والإرادة في ترتب الأحكام على أعمال العباد، وهذا الأصل العظيم**: صرح به النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله: ((إنما الأعمال بالنيات))[(٢)]. والمقصود هنا **أنه ورد آيات كثيرة جدًا في هذا الأصل**... إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن أعمال الأبدان وأقوال اللسان، صحتها وفسادها، وترتب أجرها أو وزرها بحسب ما قام بالقلب»[(٣)].

الثالث عشر: معرفة حق الله تعالى وحق رسوله صلى الله عليه وسلم

قال السعدي: «القاعدة الثانية والأربعون في أنّ الله قد ميّز في كتابه بين حقه الخاص وحق رسوله الخاص والحق المشترك. الحقوق ثلاثة:

حق لله وحده، لا يكون لغيره: وهو عبادته وحده لا شريك له بجميع أنواع العبادات.

وحق لرسوله صلى الله عليه وسلم خاص: وهو التعزير والتوقير والقيام بحقه اللائق والاقتداء به.

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٩.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ (١)، ومسلم، كتاب الأمارة (١٩٠٧).
(٣) القواعد الحسان، ص٨٨- ٨٩ .

وحق مشترك: وهو الإيمان بالله ورسوله وطاعة الله ورسوله ومحبة الله ومحبة رسوله.

وقد ذكر الله الحقوق الثلاثة في آيات كثيرة من القرآن. فأما حقه: فكل آية فيها الأمر بعبادته وإخلاص العمل له، والترغيب في ذلك، **وهذا شيء لا يحصى**.

وقد جمع الله ذلك في قوله في سورة الفتح: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فهذا مشترك، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ فهذا خاصّ بالرسول ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٩]، فهذا حق لله وحده، وقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، **في آيات كثيرة**»[(١)].

الرابع عشر: الاستعانة بالصبر على جميع الأمور

قال السعدي: «القاعدة الثانية والستون: الصبر أكبر عون على كل الأمور، والإحاطة بالشيء علمًا وخُبْرًا هو الذي يعين على الصبر. **وهذه القاعدة عظيمة النفع قد دل القرآن عليها صريحًا وظاهرًا في أماكن كثيرة**»[(٢)].

الخامس عشر: معرفة أمراض القلوب

قال السعدي: «القاعدة الثالثة والثلاثون: المرض في القرآن -مرض القلوب- نوعان: مرض شبهات وشكوك، ومرض شهوات المحرمات. والطريق إلى تمييز هذا من هذا -**مع كثرة ورودهما في القرآن**- يُدرك من السياق، فإن كان السياق في ذم المنافقين والمخالفين في شيء من أمور الدين كان هذا مرض الشكوك والشبهات، وإن كان السياق في ذكر المعاصي والميل إليها كان مرض شهوة.

ووجه انحصار المرض في هذين النوعين: أن مرض القلب خلاف صحته، وصحة القلب الكاملة بشيئين: كمال علمه ومعرفته ويقينه، وكمال إرادته ما يحبه الله ويرضاه، فالقلب الصحيح هو الذي عرف الحق واتبعه، وعرف الباطل

(١) المصدر نفسه، ص٩٧-٩٨.
(٢) المصدر نفسه، ص١٢٤.

وتركه، فإن كان علمه شكًا، وعنده شبهات تعارض ما أخبر الله به ن أصول الدين وفروعه كان علمه منحرفًا، وكان مرض قلبه قوة وضعفًا بحسب هذه الشكوك والشبهات، وإن كانت إرادته ومحبته مائلة لشيء من معاصي الله كان ذلك انحرافًا في إرادته ومرضًا. وقد يجتمع الأمران، فيكون القلب منحرفًا في علمه وفي إرادته»[1].

وهكذا نستنتج مما سبق أن مقاصد القرآن الكريم التي أشار إليها السعدي في كتابه «القواعد الحسان» على قسمين:

القسم الأول: المقاصد المستنبطة باعتبار معنى الغايات والأهداف

من خلال استقراء كلام الشيخ السعدي في كتابه «القواعد الحسان» يمكن أن نستخلص ستة معاني من مقاصد القرآن الكريم، وهي:

١) الهداية والإرشاد والتبيين.
٢) التذكر والتفكر.
٣) الاعتبار بالسنن الإلهية.
٤) الصلاح والإصلاح.
٥) عموم الرسالة.
٦) تصحيح التفكير والاستدلال.

(١) القواعد الحسان، ص٨٣-٨٤.

وأما بالنظر إلى مقاصد القرآن باعتبار معنى الموضوعات والمحاور التي يدور عليها القرآن الكريم، فإن كتاب «القواعد الحسان» دلّنا على خمسة عشر مقصدًا على وجه التفصيل المذكور في المطلب السابق، ويمكن أن نجملها في ثمانية مقاصد، وهي:

١) العقيدة، حيث يدخل في ذلك ما ذكره السعدي من: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، وتوحيد الألوهية، والإيمان، ومعرفة حق الله عزّ وجلّ وحق رسوله صلى الله عليه وسلم.
٢) تقرير النبوات، ويدخل فيه: تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والاستدلال لها، ومعرفة الرسل عليهم الصلاة والسلام.
٣) تقرير المعاد.
٤) معرفة أهل السعادة وأهل الشقاوة.
٥) الأحكام الشرعية.
٦) تهذيب الأخلاق، ويدخل فيه: الحث على الإخلاص، وإقامة العدل، والصبر، وسلامة القلب.
٧) الدعوة.
٨) التعليم.

www.alukah.net

المطلب الثاني: بيان الألفاظ التي أطلقها الشيخ السعدي على مقاصد القرآن الكريم

تبيّن من تتبع كلام السعدي في كتابه «القواعد الحسان» إطلاق بعض العبارات التي تُشعر بمقاصد القرآن الكريم، وهي على أقسام:

الأول: التصريح بعلّة إنزال القرآن الكريم، كقوله: «اعلم أنّ هذا القرآن العظيم أنزله الله لهداية الخلق وإرشادهم»[(١)].

الثاني: تسميته هذا المعنى أصلًا أو قاعدة، كقوله: «ما أعظم هذه القاعدة والأصل العظيم الذي نصّ الله عليه نصًّا صريحًا»، وقوله: «وتفصيل هذه القاعدة لا يمكن استيفاؤه... لهذا الأصل المحيط»، وقوله: «هذا الأصل الكبير»[(٢)].

الثالث: بيان أنّ هذا المعنى ذُكِر في آيات عديدة أو آيات كثيرة ونحوها من العبارات، كقوله: «وهذا المعنى في القرآن كثير»، وقوله: «وذلك في أمور كثيرة وردت في القرآن الكريم»، وقوله: « هذا الأصل الكبير قرّره الله في كتابه بالطرق المتنوعة التي يعرف بها كمال صدقه صلى الله عليه وسلم»، وقوله: «وأمثلة هذه القاعدة لا تنحصر»، «وهذه القاعدة في القرآن كثير»، «والآيات في هذا المعنى الجليل كثيرة جدًا»، وقوله: «أكثر الله من ذكره في القرآن جدًا»[(٣)]، وغيرها.

الرابع: التصريح أنه من علوم القرآن، كقوله: «أجل علوم القرآن»[(٤)].

الخامس: إرجاع جميع الشريعة إلى هذا المعنى، كقوله: «إن جميع الشرائع ترجع إلى...»، وقوله: «وهذه القاعدة من أعم القواعد؛ فإن القرآن يكاد أن يكون كله داخلًا تحتها»[(٥)].

---

(١) القواعد الحسان، ص١٥.
(٢) المصدر نفسه، ص١٢٠-١٢١، ١٣٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ٩٦، ١١٧، ٢٧، ١٠١، ١٣٣، ١٠٠، ٧٥.
(٤) المصدر نفسه، ص١٨.
(٥) المصدر نفسه، ص٩٤، ١٠٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثالث: الموازنة بين ما ذكره الشيخ السعدي من مقاصد القرآن الكريم وأقوال غيره من العلماء

لم يصرّح المتقدّمون من المفسّرين بمصطلح المقاصد القرآنية، ولكن عنى بعض العلماء بذكر معاني القرآن الكريم على وجه الإجمال عند كلامهم عن سورة الفاتحة أو سورة الإخلاص، ومن هؤلاء:

الإمام المازري في «المعلم بفوائد مسلم»: حيث قال: و«قيل: معنى ذلك أن القرآن على ثلاثة أنحاء، قصص، وأحكام، وأوصاف لله جلّت قدرته، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تشتمل على ذكر الصفات؛ فكانت ثلثًا من هذه الجهة»(١).

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «القرآنُ توحيدٌ وأحكامٌ وَوَعْظٌ»(٢).

وقال القاضي عياض: «قال بعضهم: قال الله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [سورة هود:١]. ثم بين التفصيل فقال: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ [سورة هود:٢]، فهذا فصل الألوهية، ثم قال: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾ وهذا فصْل النبوة ثم قال: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [سورة هود:٣]، فهذا فصْل التكليف، وما رواه من أمر الوعد والوعيد، وعليها أجزأ القرآن بما فيه من القصص من فصْل النبوة لأنها من أدلتها، وفهمها أيضًا ما يدل على أن الله فسَّرها، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ جمعت الفصْل الأول...»(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «هي ثلث باعتبار معاني القرآن؛ لأنه أحكام وأخبار وتوحيد. وقد اشتملت هي على القسم الثالث فكانت ثلثًا بهذا الاعتبار»(٤).

---

(١) المعلم بفوائد مسلم، لمحمد بن علي المازري المالكي (ت٥٣٦هـ)، تحقيق محمد الشاذلي، الدار التونسية، الطبعة ٢ (١٩٨٨م). (١/ ٤٦١).

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك، للقاضي محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي المالكي (ت٥٤٣هـ)، دار الغرب الإسلامي، الطبعة ١ (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) (٢/ ٣٦٩).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، الطبعة ١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م). (٣/ ١٧٩ - ١٨٠).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، المكتبة السلفية. (٩/ ٦١).

www.alukah.net

وقال في موضع آخر: «وقيل سميت أمّ القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى، والتعبد بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، وعلى ما فيها من ذكر الذات والصفات والفعل، واشتمالها على ذكر المبدأ والمعاد والمعاش»[1].

وأما المفسّرون فكان من أوائل من صرّح بمصطلح (مقاصد القرآن) الرازي (ت٦٠٦هـ)، حيث قال في أثناء تفسيره لسورة الأحقاف: «المقصود من كلِّ القرآن تقرير التوحيد والنبوة والمعاد، وأما القصص فالمراد من ذكرها ما يجري مجرى ضرب الأمثال في تقرير هذه الأصول»[2].

وظاهرٌ من تعبير الرازي عن مقاصد القرآن أنّ المراد بها الموضوعات الكبرى التي يدور عليها القرآن الكريم.

ونجد أن السعدي وافق الرازي في ذكر هذه المقاصد الثلاثة، وهي (التوحيد والنبوة والمعاد).

وأما البيضاوي فقد قال ضمن تفسيره لسورة الإخلاص: «جاء في الحديث أنها تعدل ثلث القرآن. فإن مقاصده محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص»[3].

وكذلك هنا يتفق مع السعدي في ذكر مقصد العقائد والأحكام، وزاد البيضاوي القصص.

ثم جاء ابن جزي وعقد في مقدّمة تفسيره بابًا «في المعاني والعلوم التي تضمّنها القرآن»، قال: «ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل. أما الجملة، فاعلم أنّ المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دين الله، ثم إنّ هذا

(١) المصدر نفسه، ابن حجر (٨/ ١٥٦).
(٢) التفسير الكبير، لفخر الدين محمد الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الفكر، الطبعة ١ (١٤٠١هـ- ١٩٨٢م). (٢٨/ ٣٤).
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي عبد الله بن عمر، البيضاوي (ت٧٩١هـ)، إعداد وتقديم محمد المرعشلي، دار أحياء التراث العربي، بيروت. (٥/ ٣٤٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المقصد يقتضي أمرين، لا بد منها، وإليهما ترجع معاني القرآن كله: أحدهما بيان العبادة التي دعي الخلق إليها، والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتقودهم إليها.

فأما العبادة فتنقسم إلى نوعين، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال.

وأما البواعث عليها فأمران وهما: الترغيب والترهيب.

وأما على التفصيل فاعلم أنّ معاني القرآن سبعة: وهي علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد والوعيد والقصص...»[1].

وجميع هذه الأقسام مذكورة عند السعدي فيما استنتج من الإشارات في كتابه، ما عدا القصص والوعد والوعيد.

وقال النيسابوري: «إنه سبحانه جعل مدار هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد وإثبات القضاء والقدر»[2].

وموضوع التوحيد والنبوة والمعاد هذه مما أشار إليها السعدي في كتابه، وأما القضاء والقدر فهو يدخل في الإيمان، الذي هو أحد المقاصد التي ذكرها السعدي.

وقال الكوراني: «ومقاصد القرآن ثلاث: عقائد وأحكام وقصص»[3].

وقال الآلوسي: «قيل: لعلّ الأقرب أن يقال: إن مقاصد القرآن التوحيد، والأحكام الشرعية، وأحوال المعاد»[4].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي الأندلسي (ت٧٤١هـ)، تحقيق علي الصالحي، دار طيبة الخضراء، الطبعة ١ (١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م). ص٦٩.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للحسن بن محمد النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة ١ (١٤١٦هـ). (٣/ ١٧٦).

(٣) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، أحمد بن إسماعيل الكوراني (ت٨٩٣هـ)، حقق هذا الجزء د. الجوهرة العنقري، دار الحضارة، الرياض، الطبعة ١ (١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م). (٧/ ١٣٤٩).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي (١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (٣٠/ ٢٥٠).

ووافقه السّعدي في الإشارة إلى هذه المقاصد.

وقال القاسمي: «وعلى الجملة فمقاصد القرآن أنواع: أحدها: الطلب وهو أربعة أضرب. النوع الثاني: الإذن والإطلاق: النوع الثالث: النداء ... النوع الرابع: مدح الأفعال. النوع الخامس: مدح الفاعلين لأجل الفعل الذي وصفوا به. النوع السادس: ذمّ الأفعال. النوع السابع: ذم الفاعلين لأجل الفعل الذي وصفوا به. النوع الثامن: الوعد بالخير العاجل. النوع التاسع: الوعد بالخير الآجل. النوع العاشر: الوعيد بالشر العاجل. النوع الحادي عشر: الوعيد بالشر الآجل. وكل هذه الأخبار تابعة للأحكام مؤكدة لها، إمّا بالترغيب فيها إن كانت قربة، أو بالترهيب منها إن كانت معصية. النوع الثاني عشر: الأمثال: وهي مؤكِّدة للأحكام: ترغيبًا أو ترهيبًا أو تقبيحًا أو تحسينًا. النوع الثالث عشر: التكرير: وهو دال على الاعتناء والاهتمام بالمكرر»[1].

نلاحظ أن القاسمي تكلم عن مقاصد القرآن بطريقة مختلفة، ومفصّلة، فهو -على سبيل المثال- يعبّر عن موضوع الأحكام بقوله: الطلب، ثم يصفه بأنه على أربعة أضرب، أي: واجب ومحرم ومستحب ومكروه، ثم ثنى بالنوع الثاني وهو الإذن والإطلاق، أي الإباحة، وكل هذه ترجع إلى بيان الأحكام، ثم انفرد بذكر: النداء، ومدح الأفعال أو ذمها، ومدح الفاعلين أو ذمهم، والتكرير وهذه الستة لم أجدها عند غيره فيما وقفت عليه، وأما قوله: الوعد بالخير العاجل أو الآجل، والوعيد بالشرّ العاجل أو الآجل، فيتفق مع ما ذكره القاضي عياض وابن جزي من الوعد والوعيد، لكن القاسمي فصّله بنوعيه العاجل والأجل.

فإذا كان ذلك فإن السعدي يتفق مع القاسمي في موضوع الأحكام، وإن كان يمكن أن يدخل بعض ما أشار إليه السعدي من المقاصد في باب مدح الأفعال أو ذمها ومدح الفاعلين أو ذمهم، وكذلك ما يتعلق بالوعد والوعيد العاجل والآجل، والله أعلم.

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق محمد السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة ١ (١٤١٨هـ). (١/ ١٥٨- ١٥٩).

وبيّن ابن عاشور المقاصد الأصلية التي جاء القرآن الكريم لتبيانها، وهي ثمانية أمور: الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح. الثاني: تهذيب الأخلاق. الثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة. الرابع: سياسة الأمة. الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، وللتحذير من مساويهم، وفي خلالها تعليم. السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها. السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير. الثامن: الإعجاز بالقرآن[1].

ويظهر مما سبق أن هناك نقاطَ تشابهٍ بين ما أشار إليه السعدي من المقاصد وما عدّده ابن عاشور في مقدمة تفسيره، فقد اتفقوا في ذكر مقصِد: العقيدة، وتهذيب الأخلاق، والتشريع، والتعليم، والمواعظ والإنذار والتحذير والتبشير.

وانفرد ابن عاشور بمقصد: سياسة الأمة، والإعجاز بالقرآن الكريم.

(١) انظر: التحرير والتنوير. محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ). دار سحنون، تونس. (١/ ٣٩-٤١).

www.alukah.net

الخاتمة

وفي الختام أحمد الله تعالى أن يسّر لي كتابة هذا البحث، وأعانني عليه، وما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله إنه كان غفّارًا.

وإليكم أهم النتائج:

١) أشار السعدي في كتابه «القواعد الحسان» إلى مقاصد القرآن الكريم بمعنى الغايات والأهداف في عدّة مواطن، واستُنتِج منها ستة مقاصد، وهي: الهداية والإرشاد والتبيين، التذكر والتفكر، والاعتبار بالسنن الإلهية، والصلاح والإصلاح، وعموم الرسالة، وتصحيح التفكير والاستدلال.

٢) أشار المؤلف إلى مقاصد القرآن الكريم باعتبار معنى الموضوعات والمحاور في عدّة مواطن، واستُنتِج منها ثمانية مقاصد، وهي: العقيدة، وتقرير النبوات، وتقرير المعاد، ومعرفة أهل السعادة وأهل الشقاوة، والأحكام الشرعية، وتهذيب الأخلاق، والدعوة، والتعليم.

٣) تعددت طرق التعبير عن مقاصد القرآن الكريم عند السعدي في كتابه «القواعد الحسان»، ومن ذلك: -التصريح بعلة إنزال القرآن الكريم، -تسميته أصلًا أو قاعدة، -بيان أن هذا المعنى ذُكِر في آياتٍ كثيرة ونحوها من العبارات، -التصريح بأنه من علوم القرآن، -إرجاع جميع الشريعة إلى هذا المعنى.

٤) أكثر طريقة عبّر بها السعدي عن مقاصد القرآن الكريم جملة: «وهذا المعنى في القرآن كثير» ونحوها.

٥) لم يصرّح المتقدّمون من المفسّرين بمصطلح المقاصد القرآنية، ولكن عنى بعض العلماء بذكر معاني القرآن الكريم على وجه الإجمال عند كلامهم عن سورة الفاتحة أو سورة الإخلاص.

٦) كان من أوائل من صرّح بمصطلح (مقاصد القرآن) الرازي (ت٦٠٦هـ).

٧) وافق السعدي كثيرًا ممن سبقه من المفسّرين في بعض المقاصد القرآنية، وهي: (العقيدة، والنبوة، والمعاد، والأحكام).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المصادر والمراجع

- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، الطبعة ١ (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي عبد الله بن عمر، البيضاوي (ت٧٩١هـ)، إعداد وتقديم محمد المرعشلي، دار أحياء التراث العربي، بيروت.
- التحرير والتنوير. محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ). دار سحنون، تونس.
- التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي الأندلسي (ت٧٤١هـ)، تحقيق علي الصالحي، دار طيبة الخضراء، الطبعة ١ (١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م).
- التفسير الكبير، لفخر الدين محمد الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الفكر، الطبعة ١ (١٤٠١هـ- ١٩٨٢م).
- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط ١ دار العلم للملايين، بيروت (١٩٨٧م).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي (١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الصور البيانية في الأمثال القرآنية، محمد حسن العثمان، رسالة ماجستير (٢٠١٥).
- علم مقاصد القرآن الكريم. دراسة تأصيلية، أ.م.د. محمد حامد حسن عطية، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، ع٣٥ ج١ (٢٠٢٣م).
- غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، أحمد بن إسماعيل الكوراني (ت٨٩٣هـ)، حقق هذا الجزء د. الجوهرة العنقري، دار الحضارة، الرياض، الطبعة ١ (١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م).
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للحسن بن محمد النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة ١ (١٤١٦هـ).

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، المكتبة السلفية.
- القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق خالد السبت، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثالثة (١٤٣٦هـ).
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق محمد السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة ١ (١٤١٨هـ).
- المسالك في شرح موطأ مالك، للقاضي محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي المالكي (ت٥٤٣هـ)، دار الغرب الإسلامي، الطبعة ١ (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م).
- مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، الطبعة ٢ (١٣٩٤هـ).
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، ط١ دار عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزّيات، حامد عبد القادر، محمد النجّار، مجمع اللغة العربية، ط المكتبة الإسلامية، استانبول.
- معجم مصطلحات علوم القرآن، محمد بن عبد الرحمن الشايع، ط١ دار التدمرية، الرياض (١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م).
- المعلم بفوائد مسلم، لمحمد بن علي المازري المالكي (ت٥٣٦هـ)، تحقيق محمد الشاذلي، الدار التونسية، الطبعة ٢ (١٩٨٨م).
- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

- المقاصد القرآنية في كتب التفسير، منذر المسيعدين، مجلة كلية أصول الدين والدعوة، ع٣٦ (٢٠١٨م).
- محاضرة صوتية بعنوان «شرح القواعد الحسان» لـ أ.د. عبد الرزاق البدر. الرابط ٠١/ ٣١ مقدمة الكتاب (al-badr.net)